المحاضرة الثانية: بيبليوغرافيا المصنفات النقدية في المشرق والمغرب والأندلس

أخذ النقد العربي في القرن الثالث الهجري ينزع إلى البحث والتأليف على أيدي ثلة من النقاد وعلماء الأدب، الذين خاضوا في الموازنات والموازين النقدية، كابن سلام والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم، ثم بدأت التصانيف تتوالى حتى القرن الثامن في المشرق والمغرب والأندلس.

ونسعى في هذه المحاضرة إلى تتبع بعض المصنفات النقدية المهمة التي ألمت بأهم القضايا النقدية التي طرحها الخطاب النقدي القديم عبر القرون المتوالية، وسنحاول وضع بيبليوغرافيا لأهم هذه المصنفات.

أولا: في القرن الثالث:

1- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت232 هـ):

يعتبر هذا الكتاب أول محاولة جادة تمثلت في جمع شتات آراء سابقيه ومعاصريه في النقد العربي وتنظيمها تنظيما علميا، وكان بذلك واضع أول لبنة في النقد العربي، كما يعتبر أول كتاب في النقد وصلنا كاملا، وقد قسمه صاحبه إلى قسمين: القسم الأول؛ المقدمة وتحتوي على قضايا نقدية مهمة، تكشف عن مفهوم الشعر في ذلك العصر وطبيعته، ونقد الرواية وتحقيق النصوص (الانتحال) وتأريخ نشأة الشعر وعلوم العربية عند العرب.

أما القسم الثاني من الكتاب فيحتوي على تصنيف الشعراء إلى طبقات، جاهليين ومخضرمين وإسلاميين، ثم أشار إلى طبقة شعراء المراثي، وطبقة شعراء القرى العربية، وطبقة شعراء يهود. لقد خطا ابن سلام في طبقاته خطوة لامعة في النقد، ومهد الطريق للنقاد من بعده.

2- كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت 255 هـ)

يعد كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين من أواخر مؤلفات الجاحظ، فكتاب الحيوان من أعظم كتبه، وأجلها شأنا، فقد حوى إلى جانب التعريف بالحيوان وكل ما يتعلق به موضوعات كثيرة تتصل بالفلسفة والعلوم الطبيعية والأدبية.

أما البيان والتبيين ففي جملته يتكلم عن البيان والبلاغة والخطابة العربية والشعر العربي، وقد وضعه الجاحظ في ثلاثة أجزاء.

والفكر النقدية مبثوثة في الكتابين وفي بعض الرسائل أهمها ماهية الشعر وجوهرة، ومصدر الشعر والسرقات الشعرية، وموضوعية النقد الأدبي، والشعر والطبع، وبناء لغة الشعر وغيرها من القضايا.

3- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276 هـ)

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب النقدية في القرن الثالث بعد طبقات ابن سلام، واهم ما يميزه هو منحاه في النقد، فقد احتوى كتابه على مقدمة نقدية جيدة تعد من بواكير النقد الأدبي، واقتصاره على مشاهير الشعراء دون غيرهم، ويختلف عن طبقات ابن سلام كونه يترجم للشعراء مراعيا التسلسل الزمني.

وما يهم هو مقدمتة النقدية التي احتوت على قضايا مهمة نذكر منها رأيه في اللفظ والمعنى، الحيادة في الحكم على الشعر والشاعر، بناء القصيدة وثقافة النقد، والحالات النفسية وعلاقتها بالشعر،الطبع و التكلف،القديم و الحديث.

4- كتاب البديع لابن المعتز (ت296 هـ)

يعتبر كتاب البديع "حسب النقاد " أول بحث منهجي في البلاغة والنقد والشعر"، وقد وضعه ابن المعتز سنة 274 هـ وهو يشتمل على خمسة أبواب تمثل فنون البديع الأساسية.

" كما يعتبر أول كتاب في تاريخ علوم النقد والبلاغة، يتناول الأدب تناولا فنيا... إذ نراه يدرس العبارة وينقدها، كما يتوقف عند الصور التعبيرية أو الأساليب البلاغية وقد أسس ذلك لوجود مقياس جديد في النقد الأدبي هو (المقياس البديعي) الذي أخذ يقيس الأدب بما يرد فيه من بديع".

ثانيا: في القرن الرابع:

1- كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي(ت 322 هـ)

يعتبر كتاب عيار الشعر حلقة متممة لما جاء به ابن قتيبة وهو مقسم إلى قسمين أساسيين، مقدمة ومتن، فمقدمته تشبه مقدمة الشعر والشعراء فيها أشياء كثيرة عن النقد الأدبي، وتدور حول أربعة موضوعات هي تعريف الشعر، صنعة الشعر، فنون الشعر العربي وأساليبه ثم عيار الشعر ويقصد به الوسائل التي يعرف بها جيد الشعر من رديئه.

كما تكلم عن التشبيه وأدواته ومعاني الشعر والوحدة العضوية والخلق الشعري ومراحله والسرقة الشعرية والصدق وأنواعه وثقافة الشاعر، وحسب له كذلك اهتمامه بجماليات التلقي في الفن الشعري، " وهذه رؤية جمالية متقدمة كثيرا بالقياس إلى عصرها.

2- كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت 337 هـ):

أول كتاب يحمل هذا العنوان وترد فيه كلمة نقد صريحة، ويرى صاحبه أنه " أول كتاب يؤلف في النقد" ، وهو ذو أثر كبير في حركة النقد العربي ونهضته.

وقد فصل قدامة بن جعفر "مذهبه في النقد الذي احتذى فيه حذو أرسطو في كتابه (الخطابة)، الذي ترجمه حنين ابن إسحاق في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري"، أما أهم الفكر النقدية الواردة في هذا الكتاب فهي تعريف الشعر، أسباب الشعر ومكوناته الرئيسية، أوصاف الشعر، طبيعة الشعر، الغلو والمبالغة في تناول المعاني.

لقد وضع قدامة بن جعفر مذهبا نقديا لنقد الشعر متأثرا بالثقافتين العربية الأصيلة والفلسفة اليونانية، فقد نهج قدامة في نقد الشعر نقدا علميا.

3- الموازنة بين الطائيين للآمدي (ت 371 هـ):

عنوان الكتاب هو:(الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وابن عبادة الوليد بن عبيد البحتري في شعريهما) كتاب الموازنة وثبة في تاريخ النقد العربي، فكان موازنة مدروسة مؤيدة بالتفصيلات التي تلم بالمعاني والألفاظ والموضوعات الشعرية، لهذا جاء بحثا في النقد واضح المنهج، وقد انطوى هذا الكتاب على مادة نقدية ثرية، تدخل في صميم النقد التطبيقي، هذه المادة تحتوي على أركان نقدية أهمها: الكشف عن السرقات، والقراءة الدقيقة، الموازنة، هذه الأخيرة تنقسم إلى أربعة أقسام:

أ- محاجة بين خصوم أبي تمام وخصوم البحتري.

ب- دراسة الناقد لسرقات كل شاعر منهما.

ج- نقده لأخطاء ومعايب كل منهما ثم لمحاسنه.

د- موازنة تفصيلية بين المعاني المختلفة التي تكلما عنها.
والحقيقة أنها تبقى موازنة منهجية من ناحية المفاضلة ومن ناحية استنباط الخصائص.

4- الوساطة بين المتنبي وخصومة للقاضي الجرجاني (ت 392هـ):

يعتبر كتاب الوساطة مثالا للنقد الأدبي المنهجي، فقد قسمه صاحبه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مقدمة يوضح فيها المؤلف منهجه العام في النقد تمهيدا للدفاع عن المتنبي أما القسم الثاني فلا نرى فيه وساطة بين المتنبي وخصومه بل دفاعا عن الشاعر، ومنهج الناقد المدافع أنه إذا كان المتنبي قد أخطأ أو أحال أو سرق فقد فعل ذلك غيره.

ويأتي الفصل الثالث والذي يمكن تسميته بالوساطة وذلك لان الناقد تناول فيه ما عيب على أبي الطيب في شعره، وما أخذه عليه العلماء من مآخذ، يناقشه ويحلله ويفصل القول فيه.

وقد عالج الكتاب مجموعة من القضايا النقدية كالقديم والحديث، والطبع والصنعة، والسرقات وعمود الشعر.

ثالثا: في القرن الخامس الهجري:

1- كتاب العمدة لابن رشيق (ت 456 هـ)

هذا الكتاب واسع الشهرة في مجال النقد الأدبي، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته، وقد ألفه صاحبه " في جزأين وفي كل جزء عدة أبحاث قصيرة أطلق عليها أبوابا بلغت في جملتها مائة وستة أبواب، منها أربعة وأربعون في الجزء الأول واثنان وستون في الجزء الثاني يجمع بينهما خط واحد هو الحديث عن الشعر".

ومنهجه في الكتاب يقوم على الاجتهاد والنقل، فهو قد اخذ عن النقاد السابقين ولكنه اجتهد في هذا النقل وأبدى رأيه فيه. " وتدور موضوعات الكتاب بصورة أساسية الشعر فتبين فضله، وتتحدث عن طبيعته وصياغته وأوزانه وقوافيه، وألفاظه، ومعانيه ". وغيرها.

كما يمكن إدراج كتاب العمدة ضمن النقد النظري والتطبيقي، وقد تكلم عن عدة قضايا نقدية كمفهوم الشعر، والمطبوع والمصنوع، والقديم والحديث. والسرقات الشعرية واللفظ والمعنى. وهو من الكتب التي تمثل النقد المغربي بامتياز وبخاصة النقد الجزائري القديم.

2- كتاب دلائل الإعجاز وكتاب وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)

لقد أرسى عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز أركان علم المعاني، حيث يظم بحوثا كثيرة في هذا العلم، والفكرة التي يبنى عليها الكتاب تدور حول بلاغة الكلام، وأنها تكمن في النظم، كما أوضح أن اللغة ليست مجموعة ألفاظ وإنما مجموعة من العلاقات، " وهذا أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوربا".

أما كتاب أسرار البلاغة فيظم مجموعة دراسات تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع. هذا " ويحكم عبد القاهر في الدلائل والأسرار على كثير من الأدباء والشعراء أحكاما صادقة تدل على عدالة نقده، ويستدل بالكثير من أشعار المحدثين، ويعقد في الكثير بينها موازنات تدل على وقوفه على دقائق البيان".

كما يشير بعض النقاد أن النقد الموجود في الكتابين أدق نقد موضوعي تطبيقي وأعمقه.

كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ت(684 هـ)

هذا الكتاب يمزج بين البلاغة والنقد، وقد حققه التونسي محمد الحبيب بن الخوجة، وهو في أربعة أقسام ضاع الأول منها تماما، ولكن الأقسام المتبقية تظم فكرا نقدية لامعة ويتراءئ فيها حازم ناقدا ألمعيا قليل النظير.

القسم الثاني يتناول المعاني الشعرية والقسم الثاني يتناول النظم والقوانين البلاغية، أما القسم الرابع فموضوعه الطرق الشعرية والمنهاج يتوفر على مادة نقدية وبلاغية غزيرة قلما تعثر عليها في كتاب نقدي أو بلاغي آخر، والفكر النقدية الموجودة في الكتاب يمكن ذكرها فيما يلي: المعاني الشعرية، غموضها، تخييل الأغراض بالأوزان التخييل والمحاكاة.

ويعتبر الدكتور إحسان عباس أن كتاب المنهاج هو آخر صلة بين كتاب أرسطو والنقد العربي.

وفي الأخير هذه بيبليوغرافيا لمجموعة من المصنفات النقدية في المشرق والمغرب والأندلس إلا أن هناك بعض المصنفات. لم نذكرها لتفادي الإطالة وحبا للاختصار، ولا بأس أن نذكرها فقط دون تفصيل.

فهناك فحولة الشعراء للأصمعي (ت210هـ)، والكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت285هـ)، وأخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي (ت335هـ)، وحلية المحاضرة للحاتمي (ت388هـ)، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت395هـ)، وكتاب شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ت421هـ)، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (ت466هـ)، والمثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (ت637هـ) هذا في المشرق.

أما في المغرب فهناك كتاب الممتع في عمل الشعر وعمله لعبد الكريم النهشلي (ت403هـ)، وكتاب أعلام الكلام أو رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني (ت460هـ)، والمقدمة لابن خلدون (ت808هـ)، أما في الأندلس فنجد من الكتب التي تحمل آراء نقدية العقد الفريد لابن عبد ربه (ت328هـ)، ورسائل ابن حزم (ت456هـ)، التوابع والزوابع لابن شهيد(ت426هـ

المراجع:

- عز الدين إسماعيل :المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي.
-قصي الحسين:النقد الأدبي عند العرب و اليونان.
-إحسان عباس:تاريخ النقد الأدبي عند العرب.
-عبد اللطيف صوفي:مصادر الأدب في المكتبة العربية.
-أحمد سيد محمد: المصدر الأدبي، مفهومه وأنواع دراسته.
-محمد مندور:النقد المنهجي عند العرب.